ISSN: 1994-4217 (Print) 2518-5586(online)

Journal of College of Education

Available online at: https://eduj.uowasit.edu.iq

Resea. Baydaa Jawad Jasim

Dr. Hadeel Ali Kadhem

Wasit University/ Education College for Human Sciences

Email: std20222023bjasem@uowasit.edu.iq

Keywords:

mechanisms, personality, structure, narrative, Saad Al-Taie.

Article info

Article history:

Received 28.Apr.2025

Accepted 4.Jun.2025

Published 10.Nov.2025

Personality and its construction mechanisms in the poetry of Saad Hashem Al-Taie

A B S T R A C T

Anyone who follows Arabic poetry in general and Iraqi poetry in particular sees the beauty of narrative stemming from linking reality on the one hand and feelings on the other. There is no doubt that the narration of events in poetry differs from their narration in other literary works, such as stories and novels. The poetic purpose and Values and the merging of feelings and sensations all contribute to the beauty of narration and its differences in poetry. Among the narration techniques used in Saad Al-Taie's poetic text are characters. His poetry included diverse and multiple characters, and he had his own way of presenting them and his mechanisms in pushing the recipient to reveal the structure of the character and the essence of the character. Its presence in the poetic text, and the research will trace the mechanisms of forming characters in Saad Al-Taie's poetry, adopting the descriptive approach based on analysis by tracking and analyzing the characters to reach the appropriate results.

© 2022 EDUJ, College of Education for Human Science, Wasit University

DOI: https://doi.org/10.31185/eduj.Vol61.Iss1.3896

الشخصية وآليات بنائها في شعر سعد هاشم الطائي

الباحثة: بيداء جواد جاسم. أ.م.د. هديل علي كاظم

جامعة واسط ـ كلية التربية للعلوم الانسانية

الملخص:

إنّ المتتبّع للشعر العربي عامّة و الشعر العراقي على وجه الخصوص يرى جمال السرد النابع من ربط الواقع من جهة و المشاعر من جهة أخرى ، و من دون شك أنّ سرد الأحداث في الشعر يختلف عن سردها في الأعمال الأدبية الأخرى من قصّة و رواية ، فالغرض الشعري و القيم و اندماج المشاعر و الأحاسيس كلّه يصبّ في جمال السرد و اختلافه في الشعر، ومن تقنيات السّرد الموظفة في النّص الشعري عند سعد الطائي الشخصيات، فقد ضمن شعره شخصيّات متنوعة ومتعددة، وكانت له طريقته في عرضها وآلياته في دفع المتلقي إلى الكشف عن بنية الشخصية وجوهر

وجودها في النّص الشّعري، وسيتتبع البحث آليات تشكيل الشخصيات في شعر سعد الطائي معتمداً المنهج الوصفي القائم على التحليل من خلال تتبع الشخصيات وتحليلها للوصول إلى النتائج المناسبة.

الكلمات المفتاحية: آليات ، الشخصية ، بناء ، السرد ، سعد الطائي.

المقدّمة:

يمثل الأدب ظاهرة إنسانية متقدمة وعملية إبداعية تنشأ نتيجة عوامل خارجية وداخلية، لأنّ المبدع يخلق من انفعالاته و مشاعره لغةً غنيّة بالمشاعر نابعةً من داخله متلونةً بمشاعره و أحاسيسه، إذ يكسر الإبداع الحدود ولا يحب أن يتشكل ضمن محددات ثابتة؛ ولا تقتصر ظاهرة التطور على جوانب معينة من الأدب، بل أصبحت تشمل معظم جوانبه، مما أدى إلى تغير واستبدال العديد من المفاهيم والنظريات القديمة التي كانت سائدة ومسيطرة منذ قرون.

إنّ المتتبّع للشعر العربي عامّة و الشعر العراقي على وجه الخصوص يرى جمال السرد النابع من ربط الواقع من جهة و المشاعر من جهة أخرى ، وقد أدخل الشاعر العراقي الشخصية واعتمدها كأحد البنى السردية المهمة في سياق الحدث، و من دون شك أنّ سرد الأحداث في الشعر يختلف عن سردها في الأعمال الأدبية الأخرى من قصّة و رواية ، فالغرض الشعري و القيم و اندماج المشاعر و الأحاسيس كلّه يصبّ في جمال السرد و اختلافه في الشعر، لذلك فإن ظاهرة تداخل الأنواع الأدبية مع بعضها بعض أصبحت مترجمةً للمبدع و لغته ، وأصبح من المنطقي أن تحتوي النصوص الأدبية في أغلب الأحيان على وجود أكثر من جنس أدبي. و إن تداخل الأنواع وتفاعلها هو الذي أدى إلى ظهور معظم أشعار الطائي، حيث استمد من القصة أفضل ما يدعم أصوله، ثم رسم مشاهد جميلة وسحرنا بحضوره الجماهيري المذهل. (عصفور، ١٩٩٦م، ص٥) .

تجدر الإشارة إلى أن هذا التداخل الفني في الشعر لا يلغي الخصوصية، وذلك لأنه تدخل يحافظ على هيمنة القصيدة داخل النص، تدخل يحافظ على النص الباطني للقصة الذي يظهر على شكل ملامح. ومن خلال ذلك يهدف الشاعر إلى تفعيل الإثارة والتشويق فيما يوصف له. ومن ناحية أخرى، فإن هذا التداخل لا يدل على نضج القصة أو القصة، مهما كان السرد إبداعيا بالنسبة للشاعر. وتبقى مهارته كشاعر في المقام الأول هي تحديد فاعلية نصوصه، فهو محكوم عليه بالاختزال والتكثيف بسبب البنية الشعرية التي يعتمد عليها بشكل كبير، فالسرد يقوم على مبدأ التجرد ومبدأ الحضور (زيدان، ٢٠١٨،ص٧٣) أو الفن السردي، أي استعارة الشاعر لأدوات ذلك الفن. وإلى جانب الأدوات الفنية والإبداعية، تساعده على تحقيق ذلك تجاربه العاطفية وقدرته على جذب الأشخاص والأحداث.(برنسيس، ١٩٩٩م، ص١٧)

وثمة عوامل أسهمت بشكل فاعل في انفتاح النّص الشّعريّ على فنون أخرى، فبعض العوامل وفقاً لقوانين التقدم والتطور يلعب دوراً فاعلاً في التعبير الفني إذ إنّ الكثير من المبدعين يرفضون المألوف والسائد (برنسيس، ١٩٩٩، ص١٧) على الرّغم من أنّ الأساس الّذي تشكلت بموجبه الأجناس الأدبية قوانينه صارمة، إلا أنّها وبفعل ضغوط بعض العوامل التي ذكرناها من الانفتاح تقلل هذه الصرامة وصارت ذائقة المتلقي تتقبل هذا التنافذ ما بين الأجناس الأدبية.(هلال، ٢٠٠٨م، ص١٨)، وقد كانت الشخصيات الموجودة في ثنايا النص الشعري أحد عوامل التمرد والتجديد، وسيتتبع البحث آليات تشكيل الشخصيات في شعر سعد الطائي معتمداً المنهج الوصفي القائم على التحليل من خلال تتبع الشخصيات وتحليلها للوصول إلى النتائج المناسبة.

أولاً: حياة الشاعر سعد الطائي

الشاعر سعد هاشم الطائي ولد على ضفاف نهر دجلة الخالد، وفي قرية صغيرة من قرى مدينة الكوت تسمى(داموك) قريبة من مقبرة الأتراك، ولد الشاعر سعد هاشم الطائي في ١٩/ ٦/ ١٩٦٥م. ويبدو أنه ولد يوم الثامن عشر وليس التاسع عشر لأنه أُخبر من ذويه أن ولادته كانت يوم الجمعة وهذا اليوم يوافق الثامن عشر من شهر حزيران في التأريخ. في تلك القرية لا يتذكر الشاعر منها سوى صورة واحدة بقيت راسخة في مخيلته، وتلك الصورة عند انتقال اسرته من هذه القرية إلى منطقة أسست حديثا تدعى الزهراء، أكمل دراسته الابتدائية في مدرسة البيارق، وقضى فيها ست سنوات ، أما دراسته في المتوسطة فقد كانت في متوسطة ٧ نيسان التي قضى فيها ثلاث سنين متتالية، وقد بدأت اهتماماته في قراءة الكتب الخارجية في هذه المرحلة، وكان أول كتاب وقع بين يديه كتاب(علم النفس في حياتنا اليومية). كانت انطلاقته في مجال الأدب تكمن في كتابة الخواطر الأدبية، ثم مارس كتابة القصة القصيرة والشعر العمودي ، وكان ذلك أيام دراسته الاعدادية، أما انطلاقته الحقيقية فقد كانت أيام دراسته الجامعية التي نظم فيها بعض القصائد في مرحلته الأولى وكانت تقترب كثيرا من القصائد المتكاملة لولا نقصها الوزن الشعري، ثم واظب الشاعر على تعلم البحور الشعرية التي درسها في المرحلة الثانية وتمكن منها.(لقاء مباشر مع الشاعر)

له مجاميع شعريّة منها:

١. وطن المدافئ
٢. السومري الأخير
٣. عصافير مملكة الشرق
٤. على ضفاف الوطن

ثانياً: مفهوم الشخصية:

أ. الشخصيّة لغة

جاء في لسان العرب : "الشخص : جماعة شخص الإنسان و غيره ، مذكر و جمع أشخاص و شخوص و شخاص ، و الشخص سواد الإنسان و غيره تراه من بعيد ، و الشخيص : العظيم الشخص ،و الأنثى الشخصية "(ابن منظور، ١٩٩٨، مادة شخص)

كما ورد تعريفها في كتاب العين: "شخص الشخص سواء الإنسان اذا رأيته من بعيد و كل شيء رأيت جسمانه فقد رأيت شخصه، و جمعه الشخوص و الأشخاص و شخص الجرح ورم ، و شخص يبصره الي السماء : ارتفع". (العين، ٢٠٠٥، مادة شخص)

ب. الشخصيّة اصطلاحاً :

إن مفهوم الشخصية من المفاهيم الشائكة والواسعة و قد تصدت له الدراسات النقديّة ، و بعد أن أفادت القصيدة الحديثة من معطيات التداخل الفني دخل هذا المفهوم بشكل بارز في الحقل الشعري و تغلغل في مفاصله ، الأمر الذي ترجم أهميه الشخصية ودورها في القصيدة الشعرية الحديثة التي اعتمدت على الشخصية كركن أساس في دراسة الإنسان وادخاله في سطور القصيدة الشعرية

يمثل مفهوم الشخصية عنصرا محوريا في كل سرد ، بحيث لا يمكن تصور رواية بدون شخصيات ، و من ثم كان التشخيص هو محور التجربة الروائية ، و مع ذلك يواجه البحث في موضوع الشخصية صعوبات معرفية متعددة ، حيث تختلف المقاربات و النظريات حول مفهوم الشخصية و تصل حد التضارب و التناقض ، ففي النظريات السيكولوجية تتخذ الشخصية جوهرا سيكولوجيا ، و تصير فردا ، شخصا ، أي ببساطة (كائنا إنسانيا)، و في المنظور الاجتماعي تتحول الشخصية الي نمط اجتماعي يعبر عن واقع طبقى ، و يعكس وعيا ايديولوجيا .

بخلاف ذلك لا يعامل التحليل البنيوي الشخصية باعتبارها جوهرا سيكولوجيا ، ولا نمطا اجتماعيا ، و انما باعتبارها علامة يتشكل مدلولها من وحدة الأفعال التي تنجزها في سياق السرد و ليس خارجه

و يعرّف فيليب هامون بأنّها " وحدة دلاليّة و ذلك في حدود كونها مدلولاً منفصلاً و سنفترض أنّ هذا المدلول قابل للتحليل و الوصف "(هامون، د.ت، ص٣٨)

و يعرف مجدي وهبة في تعريفه للشخصية بقوله : " الشخصية هي احد الافراد الخياليين او الواقعيين الذين تدور حولهم أحداث السرد " (زيدان، ٢٠٠٤م، ص٥٩) و منه فالشخصية في السرد حسب قوله ليست هي المؤلف الواقعي ، لأنها حسبه مجرد أداة ناتجة عن مخيلة المؤلف، و تعد الشخصية في بنية النص السردي ركنا ذا أهمية بالغة: إذ هي من الأركان الأساسية التي يتجلى عبر أفعالها الأحداث و تتضح الأفكار و تتخلق من خلال شبكة علاقاتها حياة خاصة تكون مادة هذا العمل و من ثم فإن الشخصية مع الحدث تمثل عمود الحكاية الفقري ، لذلك تدرس في اطار الحكاية، وليست الشخصية دائما هي الإنسان ، و إنما تتعداه لتشمل كل ما يؤدي فعلا ، أو يمارس تأثيراً و المقصود بالشخصية هو محرك الحدث أيا كانت طبيعته .

فهي صاحبة الفعل و الدافعة إلى الحدث ، و هي مصدر المشاعر التي تمثل لباب القصة الأساسي ...ففي القصة القصيرة مهما كان حجمها فرصة مؤكدة لبيان الأحاسيس المضطربة و الخلجات المتوجسة ، و المشاعر الإنسانية في كل حالات النفس التي تستشعرها مع كل موقف أو مأزق ، فليس هناك ما يدعوا إلى الدهشة أن تهتز الشخصية و تتوتر لمجرد أنها سمعت اسمها أو رأت صورة أو قرأت خبرا.(قنديل، ٢٠٠٢، ص٨٣، ٨٣_٢٠٤)

و يبدو في بعض القصص أن الشخصية تبرز و تسيطر على الحوادث ، بما لها من قوة و جاذبية ، ولكن عندما نتفحص القصة جيدا ، نجد أن الكاتب لا يكتفي بذلك بل يعمد الى وسائل أخرى ليوفر لها هذه السيادة .

و القارئ يلمس أثر سيادة الشخصية بصورة مختلفة ، فكثيرا ما تكون الشخصية هي العنصر الأهم في القصة ، و بهذا تكون المحور الذي تدور حوله ، و في بعض الأحيان يؤخر الكاتب نقطة الإنطلاق في القصة ، فلا يدلي إلى القارئ بشيء عنها حتى تبرز الشخصية ، و تحسر بيدها اللثام عن الحوادث ، و تبدأ في تشقيقها الواحدة تلو الأخرى ، و هو ما فعلته ' جين أوستن " ، بطريقة أكثر وضوحا في (الكبرياء و الهوى) .(نجم، ١٩٦٦م، ص٢١)

و قد ظهرت هذه الطريقة في أسلوب طريف ، إذ حاول بعض الكتاب أن يهملوا الحوادث في القصة ، و أن يضيئوا الجوانب المعتمة من حياة الشخصية ، بذلك الفيض التلقائي من الأفكار و الأحلام التي تفرزها العقلية الإنسانية و التي ندعوها أحيانا بأحلام اليقظة ، و هذه الطريقة هي طريقة تيار الوعي التي عرف بها جيمس جويس – فرجينيا وولف .

لقد كانت الشخصية دائمًا عنصرًا مهمًا وفعالًا في العمل السردي، تمامًا مثل المكونات الأخرى، مثل الحدث والزمان والمكان واللغة. "القصة، لكي تُروى، تحتاج إلى شخصية موضوعيّة " (بحرواي، ١٩٩٠، ص٢٢٣)، وقد وصفها معظم الدارسين بأنها الركيزة أو العنصر الأساسي الذي يقوم عليه النص السردي؛ بصفتها صاحبة الفعل، والدافعة إلى الحدث، ومصدر المشاعر والأحاسيس التي تمثل لُباب القصة الأساسي " فإذا كانت الحادثة هي لُب القصة فأن الشخصية هي لُب

الحادثة (كريم، ٢٠٠٨، ص١٠٠)" فمن غير الممكن وجود عمل سردي بلا شخصية؛ إذ إنها المحرك الرئيس لأحداث النص السردي، و" القطب الذي يتمحور حول الخطاب السردي وهي عموده الفقري الذي ترتكز عليه " (قيسمون، ٢٠٠٠، ص١٩٥)، فهي العالم المتحرك الذي يكّون الحياة في العمل الروائي، وهذا يفسر مركزها المرموق في الدراسات النقدية الحديثة، فبحسب الناقد رولان بارت، ليس من قصة واحدة في العالم من غير شخصيات (شربيط، د.ت، ص١٩٤) ويرى (عبد الملك مرتاض) أنّ "الشخصية هي التي تصطنع اللغة وهي التي تبث أو تستقبل الحوار وهي التي تصطنع المناجاة ...، وهي التي تنجز الحدث وهي التي تنهض تضريم الصراع أو تنشيطه من خلال سلوكها وأهوائها وعواطفها وهي التي تقع عليها المصائب، أو تشتار النتائج وهي التي تتحمل كل العقد والشرور"' (مرتاض، ١٩٩٨، ص٩١) وعليه امتلكت الشخصية منزلة عظمى بحكم قدرتها في جُل الأنواع السردية، وقد برزت أهمية الشخصية لكونها " العنصر الحيوي الذي يضطلع بمختلف الأفعال التي تترابط وتتكامل في مجرى الحكي " (يقطين، ١٩٩٧م، ص٨٧)وفوق ذلك يمكن القول إنها العنصر الوحيد الذي يشكل نقطة تتقاطع فيها العناصر الشكلية الأخرى لوجودها في الصميم الروائي، فتقود الأحداث وتنظمها وبذلك تمنح العمل بعده الحكائي، فضلاً عن أنها وسيلة الكاتب للتعبير عن إحساسه بواقعه وتجسيد رؤيته، والكائن الرمزي الذي يترجم بأمانة مواقفه.

ج. مفهوم الشخصية

وقد لوحظ في الدراسات الحديثة أن مفهوم الشخصية هو الجانب الأبرز، إذ يبرّر ذلك مشاركة الفنون المختلفة، كالسينما والمسرح والرواية وأخيراً الشعر، في استخدامها. (الرقيق، ١٩٩٨، ص١٢٦) ، مما أدى إلى بقاء هذا المفهوم فضفاضا وبعيدا عن أي تعريف دقيق، على الرغم من تعدد الكتابات النظرية والبحوث التنظيمية المتعلقة به التي اكتسبت عدة مفاهيم، منها: المفهوم الذي يؤكده رولان بارت على أنه "القوة المولدة لاتجاه القيمة في المجتمع". النص، بغض النظر عن عدد الممثلين هناك. ويؤدون أدوارهم"(فضل، ١٩٩٩م، ص٢٣) ، وفي السياق نفسه نجد مفهوماً آخر يرى أن الشخصية "هي كل من يشارك في أحداث القصة سواء سلباً أو إيجاباً. أما من لا يشارك في الحدث فهو لا ينتمي إلى الشخصيات، بل هو جزء من الوصف. إنه عنصر مصنوع، مثل كل عناصر القصة. وهو عبارة عن مجموع كلام يصفها ويصور أفعالها وينقل أفكارها وكلماتها" (زيتوني، ٢٠٠٢، ص١١٣-١١٤)، فالشخصية بحسب هذا المفهوم تمثل عنصراً متحركاً في تسلسل الأحداث وتطورها، إذ إنها عبارة عن كائنات متخيلة في المشاهد التي يرسمها الكاتب، أما مفهوم الشخصية عند عبد الملك مرتاض فهي " أداة من أدوات الأداء القصصي، يصنعها القاص لبناء عمله الفني، كما يصنع اللغة والزمان، وباقي العناصر التقنية الأخرى التي تتضافر مجتمعة لتشكل فنية واحدة وهي الإبداع الفني " (مرتاض، د.ت، ص٧١)، ومن الممكن أيضاً تمثيل الشخصية بأنها " أحد الافراد الخياليين أو الواقعيين الذين تدور حولهم أحداث القصة".(وهبة والمهندس، ١٩٧٩م، ص٢٩٧)

وقد شهدت هذه المفاهيم تحولات عميقة منذ بواكير الدراسات النقدية الحديثة، وتنوعت آراء النقاد بشأنها من عدة اتجاهات، مثلا من حيث تحديد حقيقتها في النص السردي أو تحديد أهميتها ومكانتها فيه. فمن ناحية، تعريف واقعهم بحسب الواقعيين التقليديين، هو أنهم حقيقيون، مصنوعون من لحم ودم، مرتبطون بالواقع، ولهم ارتباط وثيق بالروائي. وغالباً ما يحتوي على الكثير من نفسه، إذ يؤمنون بضرورة تقليد الواقع مع التطابق التام معه. إلا أن الأمر قد يبدو مختلفا لدى النقاد المعاصرين للاتجاه الآخر للأدب، إذ رأوا فيها "شخصية من ورق ".(بحراوي، ١٩٨٨، ص٢١) ، تُعامل على أنها وجودٌ يستقي محدداته من الوجود الإنساني، أوهي ليست سوى " كائن أدبي "(ريكاردو، ١٩٧٧، ص٢٨) تشكّل في النص المصوغ، مخلّق عبر ذهن الروائي، استغرق تحضيره زمنا، مشحون بمحمولات تسير في الخط الذي يرسمه الأديب في النص.

المطلب الأول: الكشف عن الشخصية بواسطة نفسها.

هذه الطريقة تستند إلى الطريقة المباشرة التي تشير إلى الذات المعبّرة عنها ، و المباشر يتم عن طريق الوصف الجسدي ، و النفسي للشخصية .

حين يكون مصدر المعلومات عن الشخصية هو الشخصية نفسها .بمعنى أن الشخصية تعرف نفسها بذاتها باستعمال ضمير المتكلم ، فتقدم معرفة مباشرة عن ذاتها بدون وسيط ،من خلال جمل تتلفظ بها هي ،أو من خلال الوصف الذاتي مثلما نجد في الاعترافات و المذكرات و اليوميات و الرسائل ،و هذا ما نلمسه في رواية البيت المائل، فقد كانت شخصية جوزيفين تدون يومياتها في دفتر أسود "لا أريد الذهاب إلى سويسرا ،لن أذهب .و لو أجبرتني سأقتلها هي الأخرى .لكني لا أستطيع جلب أي سم ،ربما أقتلها باليوباري ،فهو سام كما تقول الكتب .

لقد أغبني يوستيس كثيرا اليوم. يزعم أنني مجرد فتاة و لا فائدة مني و أن أعمال التحري التي أجريها سخيفة .ما كان سيفكر أني سخيفة لو عرف أني أنا التي ارتكبت جريمة القتل .

أحب تشارلز، لكنه غبي ،لم أقرر بعد من الذي سأجعله متهما بالقتل، ربما بريندا و لورانس ،إن بريندا سيئة لي، تزعم أن عقلي ليس سليما، لكني أحب لورانس، لقد أخبرني عن شارلوت كوردي التي قتلت شخصا و هو يستحم، لم تكن ذكية في عملها هذا " (حطيني، ١٩٩٢م، ص١١٢)، وتتميز بالتغيير والديناميكية، ولا تلتزم بموقف ثابت، لأنها تتطور من حال إلى آخر حسب تطور الأحداث، ولا يكتمل تكوينها إلا بعد اكتمال القصة، فتتمثل خصائصها في كشفت تدريجيا خلال الرواية، ينمو السرد أو الوصف، وشيئًا فشيئًا خلال تطور القصة وتأثير الظروف والأحداث الاجتماعية عليها، وبحسب تعريف بعض النقاد "الشخصية التي تقود الفعل. ويدفعها إلى الأمام في الدراما والرواية، وفي أصلها اليوناني تعني المقاتل الأول، وليس من الضروري دائماً أن يكون بطل العمل، بل هو دائماً الشخصية المحورية.(الشيخ، ٢٠٠٤، ص٣٩٨)، ويقدم عبد الملك مرتاض وصفاً يحدد هذه الشخصية من خلاله، فقد وصفها بأنها " الشخصية المغامرة الشجاعة المعقدة، بكل الدلالات التي يوحي بها لفظ العقدة، التي تكره وتحب وتصعد وتهبط، وتؤمن وتكفر، وتفعل الخير كما تفعل الشر، تؤثر في سواها تأثيراً واسعاً... وهي بذلك شخصية ايجابية... فتكون ذات قدرة على التأثير كما تكون ذات قابلية للتأثر أيضاً"،(مرتاض، ١٩٩٨م، ص٨٩) و جعل الطائي الشخصيّة تكشف عن نفسها بنفسها من خلال اعتماده على عرض المعاني المرتبطة بكلّ جزئيّة من جزئيّاتها ، فنجده يستعرض شخصيته متحدثاً عن مكنوناتها الداخلية ، فيقول : (الطائي، ٢٠٠٩، ص١٣)

أحتـــاجُ لشـــيءٍ ينعشُـني مـن هـذا القرِّ و يـدفيـني
أحتـاجُ لهمـــسٍ يجعلـُني أغفـو كـي أحلـمَ بسكـونِ
أحتـــاجُ لـحـبٍ مشـــتعلٍ يفـني الآهـاتِ وينسيـني
يحملُـني عَبْـرَ حـلاوتِـه وبحب اللحـظةِ يغـر يـني

يرسم الشّاعر في هذا النّص صورة لذاته فيتحدّث عن الأنا المحتاجة، فهو ينقل للقارئ ذاته من خلال التعبير التصويري باستخدام الضمير الدّال على الذّات والمعبر عنها، يتحدث الشاعر بضمير المتكلم في جميع أبيات شعره ويفتتحها جميعها بلفظة (أحتاجُ) مؤكداً حاجة الشخصية للدفء والحب والحنان عبر توظيف ضمير المتكلم في قوله (يدفيني، يجعلني، ينسيني، يغريني) جميع هذه الكلمات المرتبطة بـ (أنا) الشّاعر تعبّر عن حاجة الشخصية إلى كلّ ما يربطها بالحياة، إنّها حاجة الذّات إلى التجدد، والتمرد على الواقع البائس تعبير عن الرغبة والاندفاع نحو الحب، والإلحاح على تلك الرغبة من خلال إعادة المعاني وتكرارها.

وتتحدث الشخصية عن نفسها واصفةً فترة من فترات حياتها يقول الشاعر:

غزاني الشيبُ والأشواقُ تترى بنفسي إنما لُـبـّي يجافيـــــها

فيمنعُني الحجا رغم اشتياقـي ويأنفُ جازمــاً أني أجـــاريهــا

وما ظني بأنَّ اللُّبَ شـــــيءٌ وشيءٌ غـيرُهُ نفسي ونـاديهـــا

أغضُ الطرفَ من خجلٍ وشوق كبـحـــرٍ يعتـــلي طرفي فيرميـها

فأنى الحبُ ؟ والخمســون مني على مرمى وترهبـني خوافيـــها

تظهر الأنا واضحةً في هذه الأبيات، فيعطي الشّاعر الذات الفاعلية في التعبير عن مكنونات النّفس وخلجاتها ويتيح للشخصيّة أن تتحدّث عن همومها وآلامها، لتظهر في هذا النّص الشخصية العاجزة، فالشّاعر هنا يندب عمره متحدثاً عن أثر مرور الوقت، موظفاً ضمائر المتكلم (غزاني، يمنعني، ظني، مني، ترهبني) ليظهر واضحاً شعور الذات بالضعف والخوف من المجهول، والشوق إلى ما مضى من أيام القوّة والشموخ، فتقدّم العمر يسبب أرق الذّات التي تصور في هذا النّص مخاوفها بعد تقدم العمر، وفقدان القدرة، هذا الشعور بمرارة الألم والضياع هو تعبير عن تمزق الرؤى والإحساس (دايه، ص٣٤).

وبذلك نجد أنّ الكشف عن الشخصية بوساطة ذاتها هو كشف عن المخاوف والمشاعر العميقة التي ترتبط بذات الشّاعر وتعبر عن أكبر مخاوفه وأزماته.

المطلب الثاني: الكشف عن الشخصية بواسطة شخصية أخرى داخل النص.

اغتنى النص الشعري المعاصر بالعديد من العناصر البنائية التي هي في الأساس مكونات لأجناس أدبية أخرى و يجب التعرف على مفهوم الشخصية وأنواعها، حتى نتمكّن من الكشف عن مظهر من مظاهر تداخل الأجناس الأدبية في النص الشعري.

و الشخصية" مفهوم سردي يتعلّق أساسا بالرواية والقصة والمسرح. غير أنه في ظل تداخل الأجناس الأدبية أصبح للشخصية حضور فنيّ في النص الشعري، وخصوصا القصيدة السردية، ذلك أن كل نص حكائي يتميّز بعنصر الشخصيات .توسع مفهوم "الشخصية" من اعتبار لها مقابل في عالم الواقع الإنساني، إلى كونها "دور ما يؤدى في الحكي بغض النظر عمن يؤديه" . وهو والخيالي بالحقيقي، والمعقول بغير المعقول، والأسطوري بالواقعي. التوسّع الذي يتلاءم والخيال الإبداعي للشعر، حيث يختلط الإنساني بالمؤنسن والخيالي بالحقيقي، والمعقول بغير المعقول، والأسطوري بالواقعي.(لحمداني، ٢٠٠٠، ص٥٢)

تصنّف الشخصيات في النص الشعري على نوعين من الشخصيات :النوع الأول: الشخصيات الفاعلة، وهي الشخصيات التي "تقوم بدور ، وبذلك في تنمية النص من خلال عدد من الوظائف الفنيّة التي تمارسها" فهي تتحكّم في توجيه النص الشعري، لاعتبارها محاور في بناء القصيدة السردية[١]، وقد حاول الشّاعر تقديم الشّخصيّة من خلال نفسها في كثير من المواضع فأعطى الشخصيّة الفاعلية والقدرة على التحكم في النّص الشّعريّ والبوح بلسانها عن أفكار الشّاعر وأحواله، وهذه الشخصيّة هي التي يكون لها الدور البارز في كشف الشخصيّات الأخرى ، وهي الشخصيّات التي لعبت

دوراً بارزاً في الإشارة إلى شخصيّات الشاعر سعد الطائي ، إذ نجد في قصيدة أنا و المتنبي كشفاً للشخصيّة التي شاركت الشاعر تحديد معالم شخصيّته ، فالشخصيّة الرئيسة هي الشاعر و الشخصيّة الثانويّة التي كشفت عن أبعاد شخصيّة الشاعر ، فيقول : (الطائي، ٢٠٠٨، ص١٩)

يا شاكيَ الهمّ لما زارَهُ العيدُ — همّي وهمُّكَ، عند الخلق مقصودُ

ماذا لقيتُ من الدنيا؟ وما لقيتْ — عيناكَ غيرَ الأسى؟ والعهدُ معهودُ

من عصر آدمَ والدنيا كفاجرةٍ — تهوى البغاةَ ويهواها الرعاديدُ

حظُّ الدنيء إلى العلياءِ يسبقُهُ — وحظُّ كلِّ عفيفِ النفسِ تسهيدُ

من بؤسِ أيامِنا يصطادُني أرقٌ — فلم تطفْ فيَّ أو فيكَ الأغاريدُ

أبا المحسدِ.. ما شكواي تنفعُني — وأنتَ من قبل في شكواكَ محسودُ

من ألف عامٍ وعرقوبٌ يواعدُنا — وما لعرقوبَ في الدنيا مواعيدُ

لكنّني ألمحُ الأحزانَ تسحقُني — فأشتكي صابراً والحزنُ ممدودُ

أمسيتُ أحسبُ أن الشمسَ بازغةٌ — على العراقِ وأني اليوم مولودُ

وأنني بعدَ ظلمِ الأمس منتصِفٌ — وقد تصدى لأمرِ الناسِ صنديدُ

فكدتُ أقسمُ أنَّ العدلَ منتشرٌ — فيهِ وأيامُهُ غرٌّ أماليدُ

حتى استبقتُ إلى الخيراتِ أقطفُها — فساءني أنَّ مسعى القطفِ تفنيدُ

ما زلتُ في زمنٍ مُرٍّ يعاندُني — أسيادُهُ كلُّهم بَهمٌ مناكيدُ

أكلَّما خلتُ أنَّ الحالَ قد حَسُنتْ — ينالُ ما يشتهي الصمُّ الجلاميدُ؟

وكلَّما أشتهي أمراً يصارعُني — فيه الذي تزدهي من أجلِهِ البيدُ

لم أدرِ أنَّ الذي يقتاتُ من درنٍ — لا ينثني حين تغريه العناقيدُ

فالشخصيّة الثانويّة (المتنبي) هي التي أعطت دلالات رسمتها من خلال تطابق الصفات التي أراد الشاعر أن تتحلّى بها شخصيّته ، وهي صفات ، الهم و الصبر و تشابه الحياة بضغوطها و آلامها ، و كان المتنبّي صاحب كبرياء وشجاعة وطموح ومُحبًّا للمغامرات، وكان في شعره يعتزُّ بعروبته، ويفتخرُ بنفسه، وأفضلُ شعرهِ في الحكمة وفلسفة الحياة ووصف المعارك، إذ جاء بصياغة قوية مُحكمة. وكان شاعرًا مبدعًا عملاقًا غزير الإنتاج يعد بحق مفخرة للأدب العربي، فهو صاحب الأمثال السائرة والحكم البالغة والمعاني المبتكرة. وجد الطريق أمامه أثناء تنقله مهيئًا لموهبته الشعرية الفائقة لدى الأمراء والحكام، إذا تدور معظم قصائده حول مدحهم. لكن شعره لا يقوم على التكلف والصنعة، لتفجر أحاسيسه وامتلاكه ناصية اللغة والبيان، مما أضفى عليه لونًا من الجمال والعذوبة. ترك تراثًا عظيمًا من الشعر القوي الواضح، يضم ٣٢٦ قصيدة، تمثل عنوانًا لسيرة حياته، صور فيها الحياة في القرن الرابع الهجري أوضح تصوير، ويستدل منها كيف جرت الحكمة على لسانه، لا سيما في قصائده الأخيرة التي بدا فيها وكأنه يودع الدنيا و هذه الصّفات التي تمتّعت بها شخصيّته أضحت المبيّنة و المفسّرة لشخصيّة الشاعر سعد الطائي ، و ما استحضار شخصيّة المتنبّي إلا تشارك ما بين هموم الشخصيّتين ، فالشاعر أثقلته هموم الواقع العراقي في زمن الحرب ، و المتنبي أرهقه ظلم المجتمع ، فالشخصيّة

التي استحضرها الشاعر لتكشف أبعاد شخصيّته لم تكن وليدة الصدفة إنما من حبّه لشخصيّة المتنبي جعلته يستحضرها في قصيدة جسّدت وصفه الدّقيق للعديد من التّفاصيل .

المطلب الثالث: لكشف عن الشخصية بواسطة راوٍ خارج النص.

إن وصف و تصنيف الشخصية من طرف الدارسين و النظر إليها من أبعاد مختلفة يطرح عدة تصورات يقدمها هذا المكون للنص السردي و الروائي ، فهي مكون أساسي ضمن العملية السردية ، حيث تمثل وظيفة تنسيقية تجمع في طياتها مجموعة من المضامين الدلالية و الإيحائية الخادمة لفعل السرد المنشود من مستعمله ، " فهي التي تصنع اللغة و هي التي تصور مختلف مناظر الحدث السردي و هي التي تنجز الحدث ، و تقوم بدور الصراع و تنشيطه كما تعمر المكان و الزمان بأفعالها و مشاعرها و أهدافها ." (محمد، ص٢٢٣)

كما أنها تمثل الأداة السردية التي تقوم بالتفسير و التعبير على مختلف الأفكار و الرؤى التي ينادي بما المؤلف و النص السردي المخصوص بالدراسة .

و الشخصيّة من خارج النص من راو آخر لها دلالتها الإيحائيّة إذ إنها تكشف أبعاد الشخصيّة و تأثرها في المتلقي ليس عن طريقها إنما عن طريق غيرها و هذا الطريق غير المباشر يكشف عن المصداقيّة و البعد عن الذاتيّة ، فهذا شاعرنا الطائي يجعل شخصيّة الطير هي من تروي آلامه و همومه من خلال المشاركة الفعّالة في الوطن الذي شكّل البعد المشارك ما بين الطائر و الشاعر فتلوّنت أطياف شخصيّة سعد الطائي بما أكسبته من دلالات ساهمت في أن تكون شخصيّة الطبيعة الممثلة بالطائر هي الفعّالة و التي ساندت الشخصيّة الأساس و هي شخصيّة الشاعر المتمثّلة بالذات الحالمة و المفكّرة .

و أقرب مثال على ذلك ما قاله الطائي في قصيدته عصفورة الشرق التي يصف بها بغداد، فقال: (الطائي، ٢٠٠٩، ص٦)

عصفورةُ الشرق

في الكونِ سبعٌ من الآيات شاخصةٌ

إنَّ العجـــائبَ لم تنقصْ ولم تــزدِ

لكنَّ ثامنَـها عصفـــورةٌ طلعتْ

في الشرق تشـدو بلحنٍ ثائرٍ غردِ ما أنجبتْ مثــل بغـــداد لنا أبــداً

تلـك الحيـــاة ُ ولم تحمـــلْ ولم تلـــدِ

بـغدادُ أنتِ شعـاعُ المجدِ مـذ طلعتْ

شمسٌ ، وأنتِ منـارُ العلــمِ للأبـدِ

رحمـاكَ ربي بها مـن حقدِ حاقــدةٍ

أو كيدِ حاسدة ٍ نفـاثةِ العقـــدِ

فالراوي كان الشاعر الذي يروي جمال بغداد تلك المدينة التي أسماها عصفورة الشّرق و هذا العنوان يضفي على بغداد الجمال و الألفة و خاصّة عندما تجتمع مع الشرق عنوان الحضارة ، فالشاعر يرسم معالم الشخصيّة بارتباطها بالطّبيعة التي جسّدتها بغداد من جهة و الشرق المرتبط باسمها من جهة و الموقع الجغرافي من جهة أخرى .

وهذه هي الحالة التي يستعمل فيها أسلوب الراوي خارج الحدث أي يتم الكشف عن الشخصية من خلال ذات منفصلة عن العمل أو غير ممثلة فيه، ولكنها ترى وتعرف كل شيء عن الشخصيات الموجودة في العمل. ويعتمد الشاعر في هذا الأسلوب على راوٍ من خارج الأحداث يكون مطلعاً. وللتمكن من الكشف عن شكل الشخصية بمختلف أشكالها الخارجية والداخلية في النص، إذ إنّ حركة الراوي هو الفاعل لعمل اللغة المنجزة. ، إذ " إن ما ينتج عن حركة السارد في النص الشعري يصبح إيقاعاً لازما لحركة اللغة ذاتها، ويتحول على هذا الأساس جزء من إيقاع الشعر المفقود إلى إيقاع الموقف، وحركة السارد وسياق الفعل بوصفه أداة تعطي درامية للنص من خلال تضافر عناصر السرد بصفة كلية"،(زيدان، ٢٠٠٢م، ص٦٥) فيرى المتلقي هذه الشخصية مجسدة عبر الأوصاف التي يقدمها هذا السارد، وذلك لا يقتصر على الأعمال الروائية، بل يشمل الأعمال الشعرية المعاصرة أيضاً خصوصاً و" أن هناك تقارباً حميماً بين الشعرية والروائية وبخاصة في المرحلة الإبداعية الأخيرة، حيث استعانت الشعرية بتقنيات الروائية واستعانت الروائية بتقنيات الشعرية" (المطلب، ٢٠٠١، ص٣١) الأمر الذي مهد إلى إنشاء مساحة من التداخل الأجناسي بين الشعري والسردي تختلط فيها السمات، فيجعل كل منهما يسهم في تجسيد تجربة منتج كل منهما، فيقول في مشهد مؤثر يختلط فيه الأسى و الحزن ذاك المشهد الذي جسده ببعده الدّيني و السياسي.

الخاتمة:

يعدّ الشّعر النمط اللغويّ الأكثر اتصالاً بخلجات النفس، وهو الشكل الأول الّذي نقل عبره الإنسان أفكاره وحكا قصصه، ونستطيع القول إنّ الشعر قائم على أساس الحكي وهو يلجأ إلى الكثير من التقنيات السردية، ومن بين هذه التقنيات وجود الشخصيّات في النّص الشعري، وقد كان شعر سعد هاشم الطائي مثالاً لتفعيل دور السرد الحكائي في بناء الشعر، وقد تعددت آليات توظيف الشخصيات في شعره، فقد استخدم مجموعة من الطرائق المختلفة في سبيل الكشف عن الشخصية وصفاتها وكان من بين هذه الطرائق، الحكي الذاتي حيث تكشف الشخصية عن نفسها، والحكي بوساطة راوٍ داخلي، والكشف عن الشخصية بوساطة راوٍ خارجي هو الشّاعر الّذي يسقط مشاعره وأحاسيسه على الشخصيات ، وينقل عبرها أفكاره.

المصادر والمراجع:

١. ابو الفضل، محمد بن مكرم بن علي، جمال الدين ابن منظور الأنصاري ت٧١١هـ، لسان العرب، (١٩٩٨)، تح: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، ط١، دار المعارف للنشر، القاهرة.

٢. بارت ، رولان، (١٩٨٨) التحليل البنيوي للسرد : ترجمة حسن بحراوي ، بشير القمري ، عبد الحميد العقار ، مجلة آفاق ، اتحاد كتاب المغرب ــ الرباط ــ العدد ٨ ـ ٩.

٣. بحراوي،حسن، (١٩٩٠) بنية الشكل الروائي، الفضاء ـ الزمن ـ الشخصية، المركز الثقافي العربي، ط١، بيروت، الدار البيضاء.

٤. حطيني ، يوسف، (١٩٩٢) سميرة عزام رائدة القصة الفلسطينية ، دالناشر : دار العائدين.

٥. الرقيق، عبد الوهاب، (١٩٩٨م) في السرد، دار محمد علي للنشر، ط١.

٦. ريكاردو، جان (١٩٩٧) قضايا الرواية الجديدة : ، ترجمة صباح الجهيم ، وزارة الثقافة والارشاد القومي ـ دمشق .

٧. زيتوني، لطيف (٢٠٠٢) معجم المصطلحات نقد الرواية ، مكتبة لبنان الناشرون، ط١، ٢٠٠٢.

٨. زيدان، د. محمد، (٢٠٠٤) البنية السرديّة في النص الشعري، الهيئة العامة لقصور الثقافة، كتابات نقديّة شهريّة، مكتبة الأدب المغربي.

٩. شريبط، أحمد شريبط (د.ت)، سيميائية الشخصية الروائية،: جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر، د/ط.

١٠. الشيخ،غريد، (٢٠٠٤)، الأدب الهادف في قصص وروايات عالب حمزة ابو الفرج ، قناديل للتأليف والترجمة والنشر، ط١.

١١. الطائي ، سعد هاشم، (٢٠٠٩)عصافير مملكة الشمس ، مطبعة نور المصطفى ، كوت ، العراق ، الطبعة الأولى .

١٢. الطائي ،سعد هاشم، (٢٠٠٨)على ضفاف الوطن ، دار الكتب و الوثائق ، بغداد ، العراق ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٨م .

١٣. عبد المطلب ، د. محمد، (٢٠٠١)، بلاغة السرد، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، سبيتمبر.

١٤. عصفور، د. جابر(١٩٩٦)، سردية الشعر في القصيدة العربية، مجلة فصول، المجلد الخامس عشر، العدد الثالث.

١٥. الفراهيدي، الخليل بن أحمد (٢٠٠٥م)، كتاب العين، ط٢، دار احياء التراث العربي.

١٦. فضل ، د. صلاح (١٩٩٩)، شفرات النص ، دراسة سيمولوجية في شعرية القص والقصيد ، دار الآداب ، القاهرة ، ط١.

١٧. قنديل، فؤاد (٢٠٠٢)، فن كتابة القصة ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، كتابات نقدية ، شهرية يونيو.

١٨. قيسمون، جميلة (٢٠٠٠) الشخصية في القصة، مجلة العلوم الإنسانية ، قسنطينة ،ع /١٣،جوان٢٠٠٠

١٩. كريم، عقيل رحيم، (٢٠٠٨)، البنى السردية في شعر عبد الوهاب البياتي، رسالة ماجستير، الجامعة المستنصرية، كلية التربية.

٢٠. لحمداني، حميد(٢٠٠٠)، بنية النص السرديمن منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ط،٣.

٢١. مرتاض، عبد الملك (١٩٩٨)، في نظرية الرواية ، بحث في تقنيات السّرد ، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب، الكويت، د. ط.

٢٢. مرتاض، عبد الملك (د.ت)، القصة الجزائرية المعاصرة، المؤسسة الوطنية للعنوان الجزائري.

٢٣. نجم، د.محمد يوسف(١٩٦٦)، فن القصة ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، ط٥.

٢٤. نرسيس، مرايا (١٩٩٩)، الأنماط النوعية والتشكيلات البنائية لقصيدة السرد الحديثة ، حاتم الصكر، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت ، ط١.

٢٥. هامون ، فيليب، (د.ت) سيولوجية الشخصيّات الروائيّة ، ترجمة سعيد بنكراد ، دار الحوار ، د ط .

٢٦. هلال، محمد غنيمي (٢٠٠٨)، الأدب المقارن، د. ، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة.

٢٧. وهبة ، مجدي، و المهندس، كامل(١٩٧٩) معجم المصطلحات العربية في اللغة والادب، مكتبة لبنان، ط١.

٢٨. يقطين ،سعيد (١٩٩٧) قال الراوي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب، ط١.

المجلات والدوريات

– هشام طالب، معروف، يحيى، بيمان، صالح، اللغة الشعرية في شعر ابن حماد العدوي وفق نظرية تودوروف، مجلة كلية التربية، جامعة واسط.

– زينب، الخالدي، جاسم حسين سلطان، مظهر المدينة العدمي في الشعر العراقي المعاصر، مجلة كلية التربية، جامعة واسط.